الدولة الايوبية :

الايوبية هي عشيرة كردية ،قدر لها ان تبلغ من القوة مامكنها من اداء دور مهم في الصراع الاسلامي – الصليبي في المشرق العربي على يد اشهر رجالها صلاح الدين الايوبي ،وقد صحب عمه اسد الدين شيركوه في حملاته على مصر ،وكان نور الدين محمود قد ارسله اليها لضمها الى الدولة الزنكية .

نجح اسد الدين شيركوه في السيطرة على مصر وتولى وزارتها ،وخلفه صلاح الدين بعد وفاته ،فقضى على الدولة الفاطمية بناء على الحاح نور الدين محمود ،وقطع الخطبة للعاضد الفاطمي عام (٥٦٧ه/١١٧١م) واقامها للخليفةالعباسي المستضيء .

كان صلاح الدين الايوبي ذا نزعة استقلالية ، فأراد ان ينفرد بحكم مصر ،مما ادخله في حالة من الجفاء مع نور الدين محمود الذي عدّه نائبا عنه في حكم مصر .

توفي نور الدين محمود في سنة (٥٦٩ه/١١٧٤) وخلفه ابنه الملك الصالح اسماعيل ،وكان قاصرا ،فخشي صلاح الدين ان تؤول الامور الى الوصي عليه ،وراى انه احق بالوصية ،لذلك خرج الى بلاد الشام لضمها الى مصر منتهجا سياسة عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود ،في توحيد العالم الاسلامي ،والتصدي للصليبيين بهدف اخراجهم من المنطقة ،ونجح في تحقيق الشق الاول من خطته ،بعد وفاة الصالح اسماعيل في عام (٥٧٧ه/١١٨١م) واتجه الى تحقيق الشق الثاني .

الايوبيون والصليبيون :

عرف الغرب الاوربي شخصية صلاح الدين معرفة جيدة بعد ان اتاخت الحملة الصليبية الثالثة لصلاح الدين ان يتقابل مع الملك الفرنسي

فيليب اوغست ،والملك الانكليزي ريتشارد قلب الاسد .ولعل شخصية صلاح الدين كانت اكثر جاذبية من شخصية نور الدين محمود ،حتى انها حجبتها احيانا عن الاجيال اللاحقة ،الا ان الرجلين انتهجا سياسة متشابهة ،بل ان صلاح الدين هو الذي اقتدى بنور الدين محمود وذهب الى ابعد مما ذهب اليه .

كان الصليبيون يعتدون بأستمرار على مناطق الحدود الاسلامية في بلاد الشام،فحاول صلاح الدين ان يوقف تقدمهم في فلسطين ،لكنه مني بهزيمة قرب تل الجزر الى الجنوب الشرقي من الرملة في عام (٥٧٣ه/١١٧٧م) ولم يستطع ان يثأر لنفسه الابعد سنتين ،اذ انتصر على الملك بلدوين الرابع في معركة قرب تل القاضي في سهل مرجعيون بين نهر الليطاني والمجرى الاعلى لنهر الاردن في(شهر ذي الحجة عام ٥٧٤ه /ايار ١١٧٩م).

لم يسع الملك بلدوين الرابع ،نتيجة انتصارات صلاح الدين المتلاحقة سوى ان يطلب عقد هدنة لمدة سنتين ،فوافق صلاح الدين على ذلك في عام (٥٧٥ه/١١٨٠م).

كان لزاما على مملكة بيت المقدس التي كانت تمر في وضع حرج ،نتيجة ما وقع من شجار بين صغار الامراء الصليبيين ،ان تحافظ على الهدنة ،غير ان حاكم الكرك لم يكن بوسعه ان يفهم كل سياسة تتعارض مع رغباته ،وساءه ان يرى القوافل التجارية الاسلامية ان تسير مطمئنة قرب اقطاعه ،فراح يهاجمها ناقضا بذلك شروط الهدنة،وتمادى في تصرفاته حتى انه قام في عام (٥٧٨ه/١١٨٢م) بتنفيذ مشروع لمهاجمة مكة والمدينة .

لم يكن بأستطاعة صلاح الدين ان يغض الطرف عن هذا كله ،فعزم

في اوائل عام (٥٨٣ه/١١٨٧م)ان يهاجم المعتدين .واستطاع حاكم الكرك واصحابه ان يقنعوا ملك بيت المقدس بحشد الجيش الملكي في اقليم ماوراء نهر الاردن للانقضاض على صلاح الدين عند قدومه من مصر .

والتقى الطرفان في سهل حطين قرب طبرية ،وهناك انزل صلاح الدين بالجيوش الصليبية هزيمة قاضية في(شهر ربيع الاخر عام ٥٨٣ه/تموز عام ١١٨٧م).وأسر حاكم بيت المقدس ،وحاكم الكرك ،وكثيرا من الامراء الصليبين،ومن ثم تساقطت حصون الصليبيين في ايدي المسلمين بعد ا ناخلتها حامياتها ،ووصل صلاح الدين وجنوده الى ابواب بيت المقدس التي اضطرت الى الاستسلام في شهر رجب /ايلول من نفس السنة ،ثم تابع عمله الجهادي للقضاء على آخر آثار الحكم الصليبي في المشرق العربي الاسلامي ،لكن صمدت صور وطرابلس في وجهه .

احيى سقوط بيت المقدس ،في اوربا الغربية ،فكرة ارسال حملة الى الشرق ،فحمل الصليب كل من ملك المانيا ،وملك فرنسا ،وملك انكلترا ،لكن هذه الحملة الصليبية الثالثة لم تحقق انجازات تذكر ،وانتهى الامر بأتفاق صلح الرملة الذي عقد في عام (٥٨٨ه/١١٩٢م) احتفظ صلاح الدين بموجبه بفتوحه حتى اللد والرملة وعسقلان ،وسمح للنصارى بزيارة القدس حجاجا عزلا من السلاح ،ولم يترك للصليبيين سوى بعض التحصينات الساحلية .

لم ينعم صلاح الدين بهذا الصلح ،فقد توفي صلاح الدين بعد بضعة اشهر (في صفر عام ٥٨٩ه/شباط عام ١١٩٣م) وكان قد قسم دولته قبل وفاته بين اولاده ،واخيه العادل .ولم تكد تنقضي سنة واحدة على وفاته حتى دب الخلاف بين هؤلاء الورثة ،واستطاع اخوه القضاء على اولاده واحدا بعد اخر .وقدّر لذرية صلاح الدين في حلب البقاء حتى الغزو

المغولي في عام (٦٥٨ه/١٢٦٠م).

ونجح الملك العادل في توحيد معظم اجزاء الارث الايوبي ،واستطاع الايوبيون على الرغم من هذه القلاقل ان يحافظوا على البلاد في حوزتهم من عدوان الصليبيين ،وينتهجوا معهم سياسة سلمية .فقد اظهرت الحملات الصليبية اللاحقة قوة مقاومة اللاتين ،كذلك تأثر السكان بفوائد العلاقات التجارية السلمية .ولئن نقض الصلح احيانا ،فقد كان بمبادرة من الغرب الاوربي الذي اراد ان ينتزع بيت المقدس من المسلمين .

ثم توالت الحملات الصليبية على مصر فكانت الحملة الصليبية الخامسة سنة (٦١٥ه/١٢١٨م) وحملة اخرى في عام(٦٤٧ه/١٢٤٩م) .حتى زوال الدولة الايوبية في مصر ،سيطر بعدها المماليك .

المصادر:

١ـــــــــ ابن الاثير، الكامل في التاريخ

٢ـــــــــ ابو شامة ، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية

٣ـــــــــ طقوش ، تاريخ الاسلام الوجيز